المقاصد والجوانب الاجتماعية فى الإسلام

د/على رءوف المحمدوف
جامعة نور مبارك ـ ألماطى
جمهورية قازاقستان

المقاصد من أهم جوانب علاقة الدين بالحياة، هناك آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية متعددة فى هذا الموضوع، الذى كان موضوع اهتمام عدد من كبار العلماء فى الفقه والحضارة الإسلامية، منهم الشاطبى وابن خلدون. وهناك فتاوى كثيرة فى أكثر دول العالم الإسلامى فى هذا الموضوع المهم. ونتناول هذا الموضوع برؤية متطلبات المجتمع القازاقى فى ضوء الدين والمقاصد الاجتماعية.

أولاً: **الرعاية الاجتماعية فى جمهورية كازاخستان**:

١ــ تعرفون أن دولتنا جمهورية كازاخستان استقلت عن الاتحاد السوفييتى سنة ١٩٩١م، وانتخب فخامة الرئيس نور سلطان نزار بايف رئيسًا للجمهورية، وبدأ عهد جديد، فيه احترام للدين وعمل نحو التقدم، وبدأ القازاق وغيرهم من المسلمين ومجموعهم نحو ٧٥% من السكان البالغ عددهم ستة عشر مليونًا يعودون إلى الفكر الإسلامى، ويفكرون فى تشكيل حياتهم ومجتمعهم على أساس إسلامى. وفى الوقت نفسه توجد فى المجتمع اتجاهات تضيق مفهوم الدين تضييقًا شديدًا وتجعله مقصورًا على جوانب من العقيدة والعبادات بعيدًا عن قضايا المجتمع. ومن هنا أهمية هذا الموضوع الذى ألفت فيه كتابًا نشر فى سنة ١٩٩٩م باللغة الروسية فى مدينة ألماطى، جمهورية كازاخستان.

٢ــ إن اتضح لنا فى سنوات الاستقلال منذ ١٩٩١م، من أهم جوانب الرعاية الاجتماعية فى جمهورية كازاخستان رعاية الأيتام، وهناك عدد كبير من دور الأيتام فى بلادنا، عددها ١٨ دار أيتام للأولاد والبنات يعيش فيها نحو ٩٠٠ ولد وبنت مات آباؤهم فى ظروف اجتماعية أو حروب، أو بسبب انهيار الأسرة أو بطالة العائل وعدم قدرته على الإنفاق بسبب المرض أو العجز عن العمل. الأيتام هنا يعيشون، ثم يتعلمون فى المدارس الحكومية. دار الأيتام تدبر لهم السكن والطعام والملابس وكذلك الكتب والمكتبة والرعاية الصحية. النقود تأتى فى المقام الأول ــ من المؤسسات

الدينية الرسمية وفى مقدمتها الإدارة الدينية التى تشرف على المساجد، وهناك تبرعات شخصية من الأغنياء، وإلى جانب هذا وذلك تتلقى دور الأيتام تبرعات من البنوك. هذا من داخل جمهورية كازاخستان، ولابد أن نذكر أيضًا دعم بعض مؤسسات الخير من دول مثل دولة الإمارات، ولكن المهم هنا أن تصورًا جديدًا بدأ يتكون فى بلادنا، يقوم على أهمية التكافل الاجتماعى فى ضوء أسس الإسلام.

إن الأيتام فى جمهورية كازاخستان هم الشغل الشاغل لرئيس الجمهورية نور سلطان وهذا من منطلق الأبوة والرحمة التى جعلها الله فى قلب الرئيس نور سلطان فأصدر عدة قرارات وتوصيات برعاية الأيتام فى كل مكان من الجمهورية. ولا ننسى دور البرلمان القازاقستانى فى اهتمامه والموافقة على القرارات الخاصة برعاية الأيتام وإنشاء مؤسسات خاصة بهم. كذلك لا ننسى دور الإدارة الدينية فى جمهورية كازاخستان فى تبنى الأيتام وإعطاء الاهتمام الأكبر لهم وعلى رأسهم سماحة الأستاذ الدكتور عبد الستار حاجى دربساله مفتى مسلمى كازاخستان. الإطار القانونى أخذ يتضح بروح إسلامية اجتماعية.

٣ــ الجانب الثانى للرعاية الاجتماعية فى جمهورية كازاخستان هو إنشاء المستشفيات. وتوجد عندنا ٦ مستشفيات لكبار السن الذين يحتاجون رعاية صحية واجتماعية خاصة، والحاجة إليها كثيرة؛ لأن كثيرين منهم ليس لهم أولاد أو ممن يعمل أولادهم بعيدًا عنهم. هذه الدور تجمع بين الرعاية الصحية والرعاية الاجتماعية، وكلها مجانية. نجد فى كل بيت أو مستشفى منها الطعام والملابس والدواء والكتب وكل ما يجعل حياتهم ممكنة. الحكومة تساعد هذه البيوت أو هذه المستشفيات ماليًا عن طريق برنامج حكومى لرعاية كبار السن، هذه الاعتمادات مدرجة فى ميزانية الحكومة، قيمتها نحو ١٦ مليون تنجا أى نحو ١٢٠ ألف دولار سنويًا من الاعتمادات الاحتياطية للدولة. وبعض البنوك الخاصة تقدم دعمًا أيضًا، وبعض رجال الأعمال يدعمونها أيضًا، وهناك دعم كذلك من المؤسسات الدينية، وفى مقدمتها الإدارة الدينية. وفى هذا الصدد تتعاون المؤسسات الإسلامية والمؤسسات المالية فى دعم هذا العمل الاجتماعى.

٤ــ الجانب الثالث للرعاية الاجتماعية هو توفير الماء النظيف، وذلك لأن هناك عددًا كبيرًا من القرى تحتاج هذه الرعاية؛ لأنها لا تقع على أنهار أو مياه جارية وتعتمد على مياه جوفية قد لا تكون نقية. عدد هذه القرى ألف ومائتا قرية بها مشكلات المياه، لذلك تساعد الحكومة بالنقود لبناء شبكة لتوصيل المياه النظيفة. وشبكة أخرى لمياه الزراعة. وهذا الجانب تقوم به الدولة. وهذا جانب مهم يقيم الحياة للإنسان والنبات.

٥ــ هناك مساعدة كبيرة من المؤسسات الدينية لمن عليهم أحكام بالسجن، وذلــك أمــلاً فــى عودتهم شيئًا فشيئًا على الحياة الطبيعية. هذه المساعدة تكون بعدة طرق، منها بناء المساجد وتكليف من يقوم عليها فى داخل السجن حتى يبدأ المسجونون فى تعرف جوانب مــن الــدين والأخــلاق والسلوك السوى، كما تساعد الإدارة الدينية السجناء فى الحصول على عمل بعــد الخــروج مــن السجن. وهذه الرعاية مهمة أيضًا لمن عليهم أحكام بالسجن بسبب الإدمان، وهذه مشكلة اجتماعيــة عالمية؛ وهنا يكون دور هذه المؤسسات فى التهذيب والرعاية والإنقاذ بدلاً من تركهم فــى إطــار الجريمة والمجرمين على النحو الذى يسبب الضرر للمجتمع.

٦ــ هناك برامج جديدة عن الإسلام والأسرة، ومنها برنامج مهم يقوم على أساس أن الــدين يحترم الأسرة. وهنا نجد دور المساجد كبيرًا وحاسمًا. إن المساجد تنظم دورات دينية يقبل عليهــا آلاف من الأولاد والبنات والكبار، تتضمن معلومات مهمة عن أهميــة الأســرة والعلاقــات بــين أعضاءها، وهذا جزء أساسى من التدين الصحيح. وفى الوقت نفسه فإن المعلومات المتاحــة عــن الأسر والمشكلات فى دائرة عمل المسجد تجعل من المهم تقديم بعض المعونات أو الخدمات لكبــار السن. وهذا جانب مهم؛ لأن بناء الأسرة على أسس إسلامية يختلف عن علاقات الأفراد فى نظــم أخرى.

٧ــ هناك مؤسسات دينية تحمل أسماء علماء من مؤسسة خليفة الطائى، وكان عالمًــا كبيــرًا عرف بترجمته للقرآن الكريم إلى القازاقية وبكتب أخرى، وتوفى سنة ٢٠٠٠م ، وقد كُتِــب عنــه كِتابٌ كبيرٌ شارك فيه صديقه المصرى الأستاذ الدكتور / محمود فهمى حجازى رئيس جامعة نور مبارك. وتعرف هذه المؤسسة باسم صندوق خليفة ألطاى، وهى مؤسسة خاصة يمولها الأغنيــاء، وتهتم بالثقافة الدينية وببناء المساجد وبطباعة الكتب الدينية وكذلك مساعدة الأيتام وتنظيم النــدوات والدورات التدريبية. ويتعاون هذا الصندوق مع الحكومة. وللمؤسسة فروع فى المدن الكبرى فــى جمهورية كازاخستان، ولها علاقات قوية مع المدارس. ويقوم الصندوق حاليًا بعمل تفسير للقــرآن الكريم وبترجمة الحديث النبوى إلى القازاقية. وهناك صناديق أخرى مماثلة تعمل بروح إســلامية لخدمة المجتمع.

ثانياً حول موضوع المقاصد والرعاية الاجتماعية صدر لى كتاب باللغة الروسية فى عام ٢٠٠٩م، وفى هذا الكتاب:

إن هذا الموضوع يقوم على جانب دينى إسلامى مع مراعاة المقاصد العامة وظروف المجتمع، كانت دراستى لهذا الموضوع تنطلق من بحث مصادر الأفكار الاجتماعية فى الإســلام؛ أى فــى

الأسس الإسلامية العامة المرتبطة بأسس العقيدة الإسلامية.

إنا نجد آيات كثيرة وأحاديث نبوية فى هذا الموضوع، ومن هنا كانت البداية العلمية النظر فى أفكار اجتماعية فى القرآن والسنة، وهذه الأفكار تحدد لنا بوضوح مبادئ العلاقات الاجتماعية فى القرآن، وهذه العلاقات جزء مهم من الدين.

إن القرآن تحدث عن خلق الإنسان وواجبة أمام المجتمع، الأخلاق الفردية لا تكفى وعليه واجب تجاه المجتمع. تكوين الفرد مهم وكذلك مكانة الشخصية فى الإسلام والعوامل التى تؤثر فى تشكيل الشخصية.

وهكذا كله يمهد لبحث النظام الاجتماعى فى الإسلام، وهو نظام يراعى الجماعة ويجعل على الفرد واجبًا نحو الجماعة، والهدف العام يقوم على الإسلام عامل من عوامل الاستقرار والتكافل الاجتماعى، ويتطلب مجتمعنا المعاصر ترسيخ المفهومين الاستقرار والتكامل الاجتماعى أملاً فى التقدم.

هناك خصائص للنموذج الإسلامى الاقتصادى، تقوم على أسس من العقيدة والمصالح والواقع المعاصر، ومن هنا درست فى هذا الكتاب عدة دول تمثل تجارب إسلامية مهمة؛ منها تطبيق النموذج الإسلامى الاقتصادى فى تركيا، وعلى وجه الخصوص دور الوقف فى التنمية.

إن الإسلام يوجه نحو حل مشكلات كثيرة، ولهذا درست واقع الإسلام فى العالم المعاصر والإسلام والعمليات العولمية المعاصرة.

درست أيضًا نظام الوقف فى نظام العلاقات الاجتماعية، ومدى أهمية ذلك فى الدول الإسلامية المعاصرة.

إن الاهتمام بالتجارب المعاصرة تتناول الدين ومسائل العطاء الاجتماعى فى جمهورية مصر العربية. إن مصر بتاريخها وواقعها وخبراتها تمثل نموذجًا مهما للربط بين الإسلام والواقع.

نحن فى بلادنا نمر اليوم بمرحلة تحول مهمة من النظام السوفيتى إلى النظام الحر؛ ولهذا بدأ عندنا مرة بعد الاستقلال إنشاء المنظمات غير الحكومية فى قازاقستان، ومنها مؤسسات اجتماعية بأسماء دينية لا تهدف إلى الربح، بل إلى خدمة المجتمع.

يضم هذا الكتاب عدة نصوص فى قسم منه، ولها أهميتها فى تناول هذا الموضوع؛ منها:

ــ مختارات من القرآن والسنة فى الموضوع الاجتماعى.

ــ وكلمة الرئيس نور سلطان نزار بايف فى افتتاح المؤتمر لزعماء الأديان العالمية، وفيها أفكار اجتماعية مهمة.

ــ والإعلان الإسلامى العالمى لحقوق الإنسان، وإعلان القاهرة لحقوق الإنسان فى الإسلام.

ــ ومدونة الأخلاقيات للإعلان المصرى، ومنظمة "المؤتمر الإسلامى" ودورها الاجتماعى.

ــ والبنك الإسلامى للتنمية ودوره الاجتماعى.

ــ ونشاط البنك الإسلامى للتنمية فى قازاقستان.

ــ وعدد المسلمين فى العالم.

تمت مناقشة الدكتوراه لى فى جامعة الفارابى وهى جامعة عريقة وهى من أهم الجامعات فى جمهورية كازاخستان وتهتم بجميع العلوم واللغات ومن أهمها اللغة العربية وسعد الجميع بحضور العالم الكبير الأستاذ الدكتور/ محمود فهمى حجازى مناقشة الرسالة.

ــ موضوع الرسالة الأول فى جمهورية كازاخستان لأن المجتمع فى هذا الوقت لا يعرف ما هى الرعاية الاجتماعية، ولا يربط الدين بالمجتمع، إن الرسالة تقدم مفهومًا جديدًا للرأى فى عهد الاستقلال للبلاد يختلف عن الفكر الشيوعى السابق فى ظل الاحتلال السوفيتى الذى ظل سنوات كبيرة وسادت فيه الاشتراكية.

ــ اعتمدت الرسالة فى الاستناد إلى القرآن والسنة النبوية؛ لأنها مصدر الشريعة الإسلامية، كما اعتمدت على تجارب الحضارة الإسلامية العريقة التى كانت لخدمة البشر ومصالحهم الدينية والدنيوية، فنشأت الرعاية الاجتماعية فى الإسلام منذ عهد رسول الله ﷺ .

ــ واستند البحث ــ أيضًا ــ على آراء علماء كبار مثل الشاطبى وابن خلدون.

إن لهذا الكتاب دورًا فى المكتبة الروسية لهذه الأسباب، وهو أول كتاب فى هذا الموضوع. يقدم فكرًا جديدًا يجعل الدين الإسلامى يقدم أساسًا للحياة وللتنمية والتقدم ولخدمة المجتمع، ويجعل القارئ يعرف جانبًا من الإسلام بعيدًا عن الحوادث التى نشاهدها فى وسائل الإعلام وتشوّه الصورة.

ثالثاً: آفاق المستقبل:

١ــ اتضحت أهمية الرعاية الاجتماعية لحل مشكلات قائمة قد تختلف من مجتمع لآخر. والتركيز هنا كان على رعاية الأيتام والاهتمام بالمسنين وتوعية المسجونين والتربية الإسلامية، ودعم المساجد.

٢ــ من المهم أن يستمر التعاون بين الحكومة والإدارة الدينية والبنوك وأهل الخير لدعم هذه الجهود. وفى كل سنة نجد زيادة كبيرة فى عدد رجال الأعمال الأغنياء المسلمين الذين يعملون فى مجال البنوك والتجارة والبترول والصناعة. وهم يساعدون أساسًا فى التعليم والمساجد والعمل

الاجتماعى.

٣ـــ من المتوقع فى المستقبل زيادة هذا الاتجاه وتنظيم ذلك بتشريعات وقواعد تجعل العمـــل قويًا بروح الإسلام ولخدمة المجتمع.

٤ـــ فكرة "الوقف" بالمعنى الفقهى الإسلامى أصبح لها أنصارها. والواقع أن الرعاية الحاليـــة كأنها شكل من أشكال الوقف.

٥ـــ هناك مستقبل لعمل أوقاف تساعد طلاب الجامعات بأن تقدم لهم منحًا دراسية تتـــيح لهـــم دخول الجامعات ودفع رسوم الدراسة وتكاليف الحياة.